

القديم في الشعر والأدب على حد اصطلاح الأستاذ، إذ أن القديم في اصطلاح الأستاذ هو من لم يقل غزلاً يثير شجون النفس وشهواتها وتعلقها بفتنة الحسن . وليعذرني الأستاذ إذا قلت إنه يصعب عليه أن يجد شاعراً واحداً يصح أن ينطبق عليه اصطلاح القديم في عرفه ، فهذا الرافي على تقواه ودينه وفضله له في النزول ثراً وشعراً أشياء (أشهى) من شعر عمر بن أبي ربيعة . ألم يقرأ الأستاذ النمرائي للرافي وصفه للراقصة ومحاسن جسمها وقصته معها؟ ومع ذلك فالأستاذ النمرائي يقول إن أدب الرافي يمثل الأدب القديم في اصطلاحه، مع أن الأستاذ النمرائي لو كان خليفة وعرض عليه غزل عمر بن أبي ربيعة وبعض ما قاله الرافي شعراً وثرأ في النزول ووصف مفاتن الحسن ولذة التقبيل ومحاسن جسم المرأة لأمر الأستاذ بنى الشاعرين : ابن أبي ربيعة والرافي مآ . وإذا كان الأستاذ في شك من أن الرافي له أشياء أشهى من أشياء عمر بن أبي ربيعة ذكرنا له طرفاً منها ورضينا بحكمه وهو أعدل الحاكمين من الناس . بل نحن نترك للأستاذ الخيار فليختار أي شاعر ونحن نورد له ما يستحق به النقي لو وكل الأمر إلى الأستاذ النمرائي في نقي الشعراء ونورد ما يستحق به النقي وتقارنه بما استحق به عمر بن أبي ربيعة النقي وتقبل حكم الأستاذ النمرائي في المقارنة وهو خير الحاكمين

إننا ما أردنا أن نمدح شطط المتأخرين بشطط المتقدمين كما ذكر الأستاذ وإنما أردنا أن نبين أولاً أن النفس البشرية واحدة في كل زمان ومكان مهما اختلفت الفروق الظاهرة وبالرغم من شذوذ الآحاد بالقوة النادرة أو النجاسة البالغة النادرة . وأردنا أن نفس أثر المتقدمين في أحوال المتأخرين وأن تقول إن الشطط في وصف المفاتن وفي شرح الشكوك النفسية لم يأتنا من ناحية الإفرنج وحدهم بل جاءتنا به مؤلفات العرب ولا سيما عند ما أدخلت الطباعة وطبعت المخطوطات العربية القديمة والحديثة . على أن النفس الإنسانية يأسدى الأستاذ ينبوع يفيض بكل ذلك من غير حاجة إلى كتب العرب أو كتب الأوربيين؟ وإن شاء الأستاذ فليرتد أما كمن الناس الذين لم يتأثروا كثيراً بكتب العرب ولا بكتب الإفرنج ويسمع هواجس نفوسهم .

على أن في ذكر الأستاذ التجاء عمر بن الخطاب إلى النقي

رد على رد

بين القديم والجديد

(لأحد أساطين الأدب الحديث)



يجمع الأستاذ النمرائي في نفسه من صفات الخلق العظيم ما لا يتفق إلا لقليل من المهذبن الأفاضل؛ فهو يغاز على الفضيلة والدين، ويجمع إلى غيرته لطف المناظرة والإنصاف وآداب الحديث والمجادلة التي هي أحسن؛ وهذه رعاية من الله، نرجو أن يديم الله عليه نعمته . وقد ظهر عدل الأستاذ وإنصافه في اعترافه بأن في الأدب القديم أكثر مما يشكوه منه مما في الأدب الحديث، وفسر القديم بأنه ليس القدم الزمني، فالقديم والحديث في اصطلاح الأستاذ صفات لا تدل على الزمن، وضرب مثلاً بشعر عمر بن أبي ربيعة وقال : إنه لو كان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لنفاه بسبب غزله . فعمرو بن أبي ربيعة إذاً على قدمه الزمني ليس من الذهب

على ما كان يقال في ذلك الحين من أن تدير الدراسة والكتب المدرسية ليس بالأمر المسير

هذه ملاحظتنا على موازين الأستاذ الرافي في تاريخ هذه الفترة، فهو يسمح من هذا التاريخ كل ما يبين وجه الصواب عند من خالفوا صاحب السيرة في الأساس أو التفصيل، ويثبت من جهة أخرى ظنوناً لا يثبت لها لتقرير الصواب في جانب المؤيدين والمناصرين

ومع هذا تقول إن مكتبة « النهضة القومية » لا تكمل بنير كتاب الأستاذ عن مصطفي كامل، لأنه يشتمل على وقائع صحيحة وأسانيد صادقة وملاحظات قيمة . أما المواضع التي ينحرف فيها بعض الأنحراف عن سنته في الإنصاف والتحجيص، فليس للقارىء أن يطلب الحق كله من كتاب واحد، ولا سيما في تاريخ يختلف فيه الميول والآراء .

هباس محمد العقاد

ما يدل على أن النفوس في عهد
عمر رضى الله عنه لم تكن تمتنع
عن التعلق بمفاتيح الحسن ومحاسن
الحياة، ولعل الأستاذ قد أذكرته
التجاء عمر إلى النبي قصة سماع
عمر غناء التي تفتت بهذا البيت:
هل من سبيل إلى حمر فأشربها
أم من سبيل إلى نصر بن حجاج
فنى عمر رضى الله عنه
نصراً هذا . ولو رجع
الأستاذ إلى ما قبل سيدنا عمر
وتدبر حكمة الآية الكريمة التي
تنهى الناس عن قرب الصلاة
وهم سكارى لرأى عبرة تسلك
النفوس البشرية في كل عصر في
صعيد واحد بالرغم من تفاوتها .
وأستحلف الأستاذ أن يحكم على
تلذذ كعب بن زهير بذكره كبر
عجز حبيته في قصيدة (بات
سماد) عندما قال (هيفاء مقبلة
عجاء مدبرة) وتلذذ بذكره كبر
العجز في قصيدة يمدح بها
النبي صلى الله عليه وسلم وهي
قصيدة يتبرك بها بعض الناس،
وبعضهم يتخذها حجاباً وتميمة
بما فيها من التلذذ بذكر كبر
العجز من غير فطنة إلى ما فيها .
ومع ذلك قد مر النبي صلى الله
عليه وسلم بنزل كعب هذا من
الكرام بما كان يدعو إليه

من برحمتك يا أرحم الراحمين

جاءني ريد « بيروت » هذا الأسبوع بمجلة أدبية
فاضلة ما كتبت أنني نظرت على صدرها حتى وجدته زاخراً
بسب مصر ورجال الأدب في مصر . مع استنكار « لامتداد
الأدب المصري والثقافة المصرية في أجواء البلاد العربية »
وسد أن نفي الكاتب الكريم عن مؤلفات المصريين كل
قيمة في بضعة أسطر ، حتم الكلام بقوله : « إنني أنكر
هذه الثقافة (اللقيطة) ويمز على كلبنائي عربي أن تؤخذ
بلادى بالتدجيل ومخدع بالدعايات المجانية أو المأجورة »

ما هو الدافع إلى هذا القول ؟ أهو نقد الجهود في ذاتها
حتى نستيقظ قليلاً ونرى أن قراءنا في البلاد الشقيقة قد
بدأوا يأمون إنتاجنا ، ويستخوننا على تجديد طرائقنا
وتعزيز وسائلنا ، حتى يظفروا ويظفروا الأدب العربي الحديث
بالهضة الباهرة المنشودة ؟ إن كان هذا هو قصد المجلة
والكاتب فهو قصد نبيل ، لا يسع مصر وكتابتها إلا أن
يعثوا إليهما من أجله أصدق عبارات الشكر

أما إذا كان الباعث هو مجرد الغضب لأن مصر بالذات
هي التي تنبت منها أشعة الثقافة العربية الحديثة في الوقت
الحاضر ، فتلك عاطفة لا تشرف صاحبها ولا يجب نحن
أن نسلم بوجودها ، خصوصاً في بلد تربطنا به أواصر النسب
ومع ذلك فهذا أمر لا ينبغي أن يكون موضع جدال ،
لأنه أمر يتعلق بالواقع

فإذا كان الواقع هو أن نسيم الثقافة يهب علينا اليوم
من جبال لبنان ، فلا أحب إلينا نحن المصريين من هذا .
وهو خير لنا وأشرف من أن يهب علينا من جبال الألب
غير أن الذي يؤلني هو أننا معشر الشرقيين يكبر علينا
دائماً أن نرى الفضل يأتينا من شرق ، ولا نقضب بل نقفر
إذ يأتينا الفضل من غربي !

ولأرفع صوتي صريحاً : إن الشرق لن تقوم له قائمة
إذا بقيت فيه ذرة من روح التناذب والتحاسد . فإن لم يسفنا
التعاون والتساند فلتوقن بسقوطنا العاجل بين فكي الغرب
النهم .

توقيع الكاتب

من العقيدة السمحة وتألف
النفوس ومعرفته ضعف النفس
وقصورها . فماذا كان يصنع
الأستاذ الغمراوي لو أن شاعراً
مدحه بقصيدة تغزل في أولها
وتلذذ في غزله بذكر كبر
عجز حبيته ؟ هل كان
يتقاضى كما تقاضى النبي صلى
الله عليه وسلم أم كان ينفيه كما
أراد أن ينفي عمر بن أبي ربيعة ؟
وماذا كان يقول الأستاذ لو أن
شاعراً إنجليزياً مدح ملك
البحرارة ومقام الملك دون مقام
النوبة فقال الشاعر في قصيدته
(إن حبيتي يا كنج جورج لها
عجز كبير) ؟ إننا يا أستاذ نقرب
هذه الأمثال لنبين أن الناس
ناس في كل زمان ومكان ، وأن
النفس البشرية واحدة مهما
تباينت واختلفت صفاتها . ولو
كان الأستاذ في شك من ذلك
فليراجع ديوان حسان بن ثابت
فيراه في قصيدة يتهم أبا الوليد
ابن المغيرة بمحبة غلام روى
جميل كان مملوكاً له ، وبأنه
علق صورة الغلام كي ينظر
إليها إذا غاب عن نظره ، وتهنئ
أمه بمحبة الغلام أيضاً .
(صفحة ٣٢٩ طبعة السعادة
شرح الباني) . ولو رجع
الأستاذ إلى كتاب (المقيد الفريد)

وأشباههم ورجعوا به إلى طريقة مسلم بن الوليد وأبي تمام والبحثى وحسبهم هذا فخراً . وقد جعلنا أكثر قولنا في التجديد في الشعر لأن الباعث على مقالات الأستاذ كان شعر الرافعي والقادة، ولم تقصر التجديد على محاولة إدخال العاطفة كشرط أساسي في النزول بل قلنا إنها شرط أساسي في كل شعر، وإن الصنعة لازمة، ولكن تكادمة للتعبير عن النفس والحياة وعواطف النفس وأحاسيسها فيهما ، فتحجر الصنعة من غير بحث في النفس قيد ، والتخلص من جمود ذلك التحجر حرية، وهي الحرية التي أردناها في قولنا . وقد فسرنا ذلك بإطالة وأوضحنا أن هذه الحرية ليس معناها التخلص من قيود العرف أو الدين، فترجو الأستاذ أن يرجع إلى ما فصلنا من الكلام عنها . وقد اعترفنا للأستاذ بما في نزعته التجديد من عيوب وجنابا لورجع الأستاذ إلى ذلك التفسير والتعليل، وقلنا إنها عيوب عارضة وليست كل شيء . أما المسائل الاجتماعية التي ذكرها الأستاذ فهي أمور يختلف فيها الأدباء وغير الأدباء ويختلف فيها الناس في كل عصر؛ ولو شاء الأستاذ لذكرنا من أقوال كتاب العرب وشعرهم ما هو أشد من أقوال طه حسين وهيكمل وقاسم أمين . ومن النريب أن الأستاذ لا يرى حرجاً في الاقتباس من علوم أوروبا ويرى حرجاً في الاقتباس من مذاهبهم وأبواب أدبهم، وإذا كان هناك حرج فالحرج في الحالتين .

(قارى')

لقرأ أن سائلاً سأل عبدالله بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم: هل قول المجون بنقض وضوء؟ فقال: لا. وأنشد بيتاً فيه مجون وكانت قد حانت الصلاة فقام وصلى للدلالة على أن شعر المجون لم ينقض وضوءه. وفي حالة أخرى سمع وهو يحدو بيت فيه مجون. ولو تقصى الأستاذ أخبار سبي الرقيق من المدن الفارسية والرومية التي فتحت عنوة وأثر ورود هذا السبي إلى شبه جزيرة العرب ، وما كان يرد قبله من جلب تجارة الرقيق قبل الإسلام لمعلم أن الوروع بمفاتيح الحسن لم يكن مقصوراً على الشعراء المتقدمين أو المتأخرين . ونحن لا نريد أن نغدر حالة الناس في عصرنا . فلعل التعلق بمفاتيح الدنيا في عصرنا أضر وأفسد إذ أن القوى الحيوية الخلقية العظيمة في نفوس المتقدمين كانت تستطيع موازنة ضعف هذا التعلق، وانعدام هذه القوى الخلقية الحيوية في عصرنا يزيد ضرر التعلق بمفاتيح الحسن وشهواته . سلم ذلك وتوافق الأستاذ على ضرورة معالجة هذه المسألة ، ولكن لا يكون ذلك إلا بالترية وتطهير الكتب ولاسيما القديمة. أما أننا رجعنا إلى مبدأ نهضة التجديد فالأستاذ نفسه يعترف بأن التجديد في الأدب روح لا قالب ، وأن هذه الروح مستمدة من نظام التعليم الحديث ، ومن الأنظمة التي اقتبست من الأنظمة والشرائع والسنن الأوروبية ، ومن البعثات العلمية إلى أوروبا وأثرها في النفوس، ومن الكتب التي ترجمت؛ وما دامت المسألة مسألة روح لا قالب فلا يستطيع الأستاذ فصل التجديد في العلوم والتعليم والنظم والشرائع عن التجديد في الأدب وهو لم يحاول أن يفعل ذلك . أما أننا فسرنا قوله : (تغليب دين على دين) بشير ما أراد ففدنا في ذلك أنه كان يقارن بين الثقافة والحضارة والدين عند العرب وعند الأوروبيين فلم يخاطر ببالنا أنه يعنى بالدين عند إطلاقه على الأوروبيين معنى الضلال والباطل وإنما ظننا أنه يعنى دينهم ، ولنا العذر أو بعض العذر . وأما قول الأستاذ إن حافظ إبراهيم رجع بالنزول إلى طريقة الجاهلية وصدر الإسلام أي طريقة النزول بالعاطفة كما فعل المدرسون فهذا ما لا يقول به حافظ نفسه ولم يقل به أديب قبل الأستاذ . والأصح وهو ما قلناه من أن البارودي وسوق وحافظ أتقدوا الأدب من طريقة ابن حجة الحموي وخليل بن أيبك الصفدي وصفي الدين الحلبي

